واقع اللغة الفصحى في وسائل الإعلام

د. قارش محمد   جامعة باتنة 1

ملخص

لقد أصبح ضعف اللغة العربية لدى جماهير الناس المتعلمة والمثقفة ظاهرة عمت حياتنا اليومية وتغلغلت في مؤسساتنا وأنشطتنا المتعددة. وهذا الضعف اللغوي في مجتمعاتنا على امتداد ساحة الوطن العربي الكبير فتح المجال لدعاة العامية إلى أن تحل محل اللغة الفصحى بدعوى صعوبة اللغة العربية الفصحى ومرونة العامية.

كلمات مفتاحية: اللغة، الفصحى، العامية، الإعلام.

Abstract

generalized phenomenon of our everyday life and that has become entrenched even in our institutions and our activities, this linguistic weakness in our communities throughout the Arab world has opened The way to the dialect and vernacular to institute the dialect instead of the academic because it is very difficult while the other is so malleable.

Key-words: Language, Classical Language, Dialect, Information.

مقدمة

يشهد العالم اليوم تطورات متسارعة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال، واهتماما متزايدا بدور وسائل الإعلام ووظائفها، وبحثا دائبا عن قواعد تحكمه، ونظما يعود إليها، إضافة إلى هذا هناك اهتمام بتطوير اللغة التي تستند إليها هذه الوسائل الإعلامية بكل أبعادها وتطوراتها. فاللغة كائن حي يخضع لنواميس التطور، و التفاعل مع اللغات الأخرى، والتواصل معها، والتأثير فيها والتأثر بها، ويرجع ذلك إلى التفاعل الحضاري الناجم عن اختلاط المجتمعات سواء بالعلاقات الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية أو غيرها. هذه اللغة التي حاول الاستعمار بمختلف أشكاله محوها في المستعمرات التي احتلها، وإحلال لغته مكانها فاللغة أصبحت ذات قوة وسلطان، لما لها من تأثير هائل على تفكير الأفراد والجماعات أو على شعورهم وسلوكهم وآرائهم.

إن أثر اللغة في عصرنا الحاضر قد ازداد قوة، وأخذ الناس يهتمون بوسائل الاتصال فيما بينهم وازداد خطر اللغة المنطوقة والمكتوبة بانتشار الصحافة و الإذاعة المسموعة و المرئية، والسينما و الأساليب العصرية التي تسعى إلى تحقيق اتصال جماهيري متميز من خلال ما سبق نطرح الإشكالية التالية: هل هناك صراع خفي في وسائل الإعلام بين اللغة الفصحى والعامية؟

www.manaraa.com

و يتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية هي: ما هي خلفيات هذا الصراع؟ ما علاقة العولمة بهذا الصراع؟ ما مصير الفصحى في وسائل الإعلام للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على الخطوات التالية:

- مقدمة

1- أسباب ضعف اللغة العربية

2- مخاطر الدعوة إلى العامية

3- واقع اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام

4- اللغة العربية والعولمة

5- الدلالات اللغوية في وسائل الإعلام

- الخاتمة.

1- أسباب ضعف اللغة العربية

لا يمر يوم إلا و تصب الإذاعات المسموعة، و الفضائيات العربية على مسامعنا سيلا من مقابلات أو خطب أو تصريحات أو برامج، وحوارات أو مقالات مختلفة يتحدثون فيها عن علاقات بلدانهم مع بقية بلدان العالم أو عن أزمة أمتهم الراهنة، وأحداث الساعة وسيأخذك العجب كل مأخذ لركاكة لغتهم التي تلوكها ألسنتهم، وتمزق أوصالها تمزيقا، فتحسب أن مثل هؤلاء الإعلاميين لا يتقنون اللغة، ولا يلمون بأبسط مبادئ قواعدها.

و يتساءل المرء بحق كيف حصل هؤلاء الإعلاميون على شهاداتهم و هم بهذا الضعف الشائن في اللغة؟ و العجب أن بعض الإعلاميين له درجة دكتوراه، فأي شهادة هذه التي نالها إعلامي وهو يجهل قواعد اللغة التي يتحدث بها؟ لا يعرف وظيفة العامل و المعمول يرفع المجرور، و ينصب المرفوع، و يجر المنصوب؟ بارع في فنون السياسة، وأساليب الخطاب، و اقتناص الأوقات من دون أن يتخطى ضعفه في اللغة، ويلم بها إلماما مقبولا غير أنه لا يجد من يحاسبه على ضعفه في اللغة، ويعاتبه عليه، ولو أنه وجد من يسأله عن ركاكة لغته، أو يعيب عليه ضعفه فيها أو رأى أن إتقانها شرط لازم من شروط الحوار و المناظرة لكانت نجوميته الإعلامية أفضل من واقع لسانه الركيك[1].

إن أغلبية المؤسسات الإعلامية تعاني الفقر اللغوي، كذلك مؤسسة القضاء أيضا تعاني ركاكة اللغة التي تعج بالأخطاء اللغوية، والأخطاء النحوية في مرافعات المحامين، وقرارات القضاة واضحة جلية في هذا الشأن، و مثلها مثل مؤسسة الإعلام المرئي والمسموع التي أخذ يتسلل إليها ضعاف اللغة، و مثل ذلك أيضا في الصحافة، و غدت كفة العلاقات الشخصية

---

[1]- عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1991، ص 19.

www.manaraa.com

في الإعلام والصحافة ترجح أحيانا على الكفاءة اللغوية و المهنية، و على هذا النحو من الضعف اللغوي، وفداحة الأخطاء النحوية نجده في مؤسسات السلطة التنفيذية، والمنظمات الشعبية، والنقابات المهنية من خلال بيانات، وسجلات وتقارير و محاضر، و قيود الدوائر والمديريات و الوزارات، و في المراسلات المتبادلة فيما بينها.

كما نجد ضعف اللغة ملحوظا، وإن كان على نحو أقل في المطبوعات، والمجلات والدوريات، وفي كتابات ودواوين ومؤلفات بعض، الأدباء والشعراء والمفكرين، و الكتاب عل أن الأخطر من هذا و ذاك أن نجد ضعف اللغة في المؤسسة المعنية بتعليم اللغة، و بتنشئة الجيل وهذا هو واقع مؤسسات التربية والتعليم في الوطن العربي، فالأطفال يدخلون المدارس ليتعلموا اللغة العربية الفصيحة فيجدونها مهجورة حتى عند معلمي اللغة العربية، ولا يجدون في مدارسهم أجواء لغوية نقية تساعدهم على اكتساب اللغة الفصيحة، والتدريب على النطق بها، و إنما يجدون اللغة التي يريدون تعلمها محاصرة باللهجات العامية على ألسنة معلميهم وغيرهم، كما يجدون أساليب تعليمها و تعليم قواعدها ونحوها جافة، و مرجّلة لا يميلون إليها، فينشؤون ضعافا في لغتهم، وضعافا في قواعدها و نحوها، و يصعدون ضعافا فيها إلى المراحل التعليمية المتوسطة و العالية، و هكذا تخرج المدارس، و المعاهد و الجامعات أجيالا متعاقبة من ضعاف اللغة يشرفون على المؤسسات الإعلامية، و حتى قيادة الدولة والمجتمع[1].

لقد أصبح ضعف اللغة العربية لدى جماهير الناس المتعلمة و المثقفة ، إنها ظاهرة عمت حتى حياتنا اليومية، و تغلغلت في مؤسساتنا المختلفة، و أنشطتنا المتعددة، و هذا الضعف اللغوي في مجتمعاتنا، ومؤسساتنا الإعلامية على امتداد ساحة الوطن العربي الكبير و يتعلل البعض بصعوبة قواعدها مما يعطي لأعداء اللغة العربية ذريعة لطعنها بأسهمهم المسمومة، و رميها بالجمود والتخلف عن مواكبة روح العصر، و بدعوى صعوبة نحوها الذي ليس إلى فهمه من سبيل، فيدعون إلى استخدام اللهجات العامية في كل بلد عربي بدلا من اللغة الفصيحة وهذه الدعوى قديمة ومتجددة، و هي خطيرة على حياة أمتنا.

إن الضعف العام في اللغة وقواعدها ليس مرده إلى طبيعة اللغة، و لا إلى صعوبة قواعدها، وإنما مرده إلى تخلف الأمة الحضاري في مختلف جوانب حياتنا السياسية والفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فالضعف العام في اللغة هو أحد إفرازات تخلفنا الحضاري الذي يعكس واقع الأمة المأزوم إنما الضعف كامن فينا وليس بطبيعة لغتنا، فاللغة بأبنائها وبمجتمعها و بأمتها، وتقوى بقوتهم، و تضعف بضعفهم، وتزدهر بازدهار حضارتهم، و ترقى

[1]- إبراهيم دريدي، لغة الإعلام اليوم، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط 1، 1991، ص 83.

www.manaraa.com

برقيهم، و تنحدر بتخلفهم وانهيارهم، وأمم العالم الحية تتمسك بلغتها، وتحرص على إتقانها و الدفاع عنها أمام كل غزو ثقافي يهدف إلى احتوائها و اقتلاعها[1].

2- مخاطر الدعوة إلى العامية

لقد أعاد الإعلاميون العرب طرح قضية العامية بل و تبنى الإعلاميون في التلفاز بخاصة الترويج للهجات العامية، و يمكننا أن نلاحظ بالمقارنة لنسبة ما يبث بالعامية إلى نسبة ما يبث بالفصحى في التلفاز، و عندئذ سنكتشف الحقائق المروعة ولاسيما عندما تجهر بعض القنوات العربية بلهجاتها المحلية، وتحرص عليها لا كلهجة، وإنما كلغة داخل اللغة كنوع من التمييز المزعوم، وإذا بنا نتسامع بنداء اللغة اللبنانية بدلا من اللهجة اللبنانية و اللغة الخليجية بدل اللهجة الخليجية، و اللغة المغربية بدل اللهجة المغربية و هكذا.

و قد لا نجد غرابة عندما نلاحظ أن أصواتا إعلامية، و ثقافية تبنت الترويج للعامية منذ مطلع هذا القرن، تتمة لما كان قد روج له الاستعمار في وقت باكر من القرن الماضي، و في النصف الأول من هذا القرن، و كان الهدف واضحا، و كان العدو محددا، و أهدافه لا تخفى على أحد و مازالت نداءات إحلال العامية محل الفصحى ترد في أسماعنا منذ الرغبة الاستعمارية التي تبناها كل من "وليام و لكسوس، ثم ويلمور ثم صامويل موريه)، وفشلت كل النداءات الاستعمارية أمام غيرة الأمة على أحد عناصر مقوماتها الشخصية وهي اللغة العربية الفصحى[2].

لكن تبني بعض وسائل الإعلام العربية للعامية عن قصد أو غير قصد أمر له خطورته المركبة أولا لسرعة انتشار وتأثير وسائل الإعلام، و آخر لأن هدم الفصحى بالعامية قد جاء بمعاولنا و من داخلنا ومن هذه المرة، وكأننا حفرنا لأنفسنا الخنادق المضادة للتجاوز و لنحقق رغبة استعمارية فشل الاستعمار في الفوز بها سابقا، ومن الخطأ تصور الفصحى و العامية كثنائية ضدية لأن اللهجة حقيقة علمية ولغوية تتفرع من الفصحى، ولذلك فنحن أحوج إليهما معا، و لكن لكل منهما مجاله إن وسائل الإعلام في حاجة ماسة إلى الفصحى و ذلك لأن إمكانات الفصحى أضعاف إمكانات العامية، مما يساعد الإعلامي على دقة التعبير في أي وسيلة بالإضافة إلى مركز الصدارة، و حجم الانتشار الواسع لوسائل الإعلام ودورها الواقعي في قيادة المجتمع قيادة فكرية، ودورها في حفظ الحضارة والتراث والتعبير عما نملك، ودورها في حفظ

---

[1] - جان جبران كرم، مدخل إلى لغة الإعلام – دار الجيل بيروت لبنان ط 1 2001، ص 70.

[2] - عبد العزيز شرف، اللغة العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوية في عالم يموج بقنوات فضائية فكرية متباينة تصل إلى حد التطرف قياسا بعاداتنا وتقاليدنا(1).

و من هنا وجب على من يقود المجتمع أن يرتفع بلغة المجتمع ارتفاعا يتوازى مع الأهمية القصوى للغتنا الفصحى، و هي أهمية يجب أن نستعيدها من خلال تبني وسائل الإعلام لها بشكل علمي وتطبيقي، و قنوات التلفاز لم تعد مكتفية بإفشاء العامية بل إنها بدأت تسيء حتى إلى العامية نفسها، و ذلك بالسماح للأعمال الدرامية، و الإعلانات التجارية بترديد ألفاظ متدنية، و ذكرها يثير في النفس قدرا كبيرا من الابتذال، والاستهتار واللامبالاة.

و من ناحية أخرى أصبحت أفلام الإذاعة المرئية التي تقدم التاريخ و السير وسيلة للإساءة إلى الفصحى على الرغم من التزامها بالفصحى، و لكنها تقدم الحوار بمفردات بعيدة عن لازمات العصر التعبيرية، فضلا عن التهجم و الغضب في أكثر الحوارات، و الافتعال في مستوى الأداء الصوتي، و طريقة أدائه من الممثلين، و هي أمور في جملتها تقدم الفصحى في شكل افتعال لا انفعال مما يقطع وشائج الصلة بينها وبين المشاهدين والمستمعين(2).

إن اللغة التي يستعملها الإعلاميون إما أن تكون جسرا للتواصل، و توحيدا للمفاهيم بين الأفراد و الجماعات و المجتمعات، و بين الأجيال، و المدارس الفكرية، و أن تكون أيضا جسرا لنقل التكنولوجيا، و توظيفها في التربية المحلية، و لنقل المنتجات أيضا، فعلى ما يبدو هناك توافق ضمني على أن من يقوم بتسويق لغته بفعالية أكبر لن يواجه صعوبة في تسويق منتجاته، وإما أن تكون هي ذاتها عائقا أمام اللحاق بركب المعرفة الإنسانية، و حاجزا يفصل بين الأفراد والجماعات، فالحواجز الاجتماعية، كما تقول "جيردا منصور" تعبر عن نفسها أكثر ما تعبر عن التباين اللغوي.

إن اللغة الإعلامية قد تكون حصنا تلوذ به الشعوب لانتشالها من أزماتها، وقلعة حصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، وإما أن تكون سجنا للعقول، و الأفكار و الألفاظ إذا ما أنكرنا على اللغة حقها في التطور و الاحتكاك، و التهجين، و هو ما يؤدي إلى ترهل الفكر، و ضمور أدوات التعبير، واختناق المعاني بتضييق الخناق على المجاز، والحد من حرية الكلمات في إثراء دلالاتها وإشعاع إيحاءاتها(3).

و قد تكون اللغة الإعلامية أداة بناء أو معول هدم، فاللغة إما أن تكون أداة لبناء المعانين و بناء الواقع، و بالتالي فحقيقة الأشياء –كما يرى البعض من وضع الكلمات، و تجديد النظرة

---

[1] - ستيفن أولمان، دار الكلمة في اللغة ترجمة كمال محمد بشر مكتبة الشباب القاهرة ط 2، 1962،ص 38.

[2] - السعيد محمد بدوي، مستويات اللغة المعاصرة في مصر، دار المعارف مصر القاهرة، ط1، 1988، ص 70.

[3] - عبد الرحمان أيوب، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، ط 1، 1980، ص 34.

www.manaraa.com

إلى التراث، وشحذ الوعي، وتثقيف العامة علميا وتكنولوجيا، وإما أن تكون معول هدم يشوه المعاني، ويقوض أسس بناء المفاهيم من خلال العبث بالدلالات، وتمييع المصطلحات، وقبر الأفكار في أكفان العامية، وهكذا يجري تخريب الوعي، فالوعي سواء الفردي أو الجماعي شديد الصلة بالقدرة اللغوية، ويحدث الفصام الاجتماعي وفقا "ليحي الرخاوي)كما يحدث الفصام الفردي عند اضطراب القدرة على إدراك المعاني.

3- واقع اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام

لا شك أن اللغة العربية الفصحى هي التي تمكن وسائل الإعلام من أداء وظيفتها بصورة مثالية لما تمتلكه الفصحى من مفردات تمكن من دقة الوصف، و دقة التعبير، و دقة الاختيار، فاللغة العربية تفرق مثلا بين درجات النوم بكلمات تعبر عن مراحل النوم "هفا، غفا الكرى، الوسن، النوم، النعاس)، واللغة تتبعت مراحل نمو الإنسان منذ الميلاد فهو "وليد، فصديغ، ثم رضيع، ففطيم، وجحوش ، ودارج، وخماسي، ومثغور، ثم مترعرع وناشئ ثم يافع، ومراهق، وغلام، وهو فتى ثم شاب، فكهل ثم شيخ عجوز[1].

ولعل ثراء اللغة العربية بمفرداتها واشتقاقاتها هو الذي ميزها عن العامية التي تتنكر لها لأنها جزء من لغتنا وبها نفكر، وهي لهجة لكن مفرداتها لا تساعد على التواصل المنشود كهدف إعلامي في المنطقة العربية، ومن ميزات اللغة الفصحى أن مفرداتها لا تعرف الترادف - كما هو شائع– لأن كل لفظة تحدد معنى وصفة لا تشاركها فيه كلمة أخرى، فالسيف له مئات الأسماء لكن السيف الضارب غير حاد، القاطع درجة من درجات الحدة، والبتار حاد جدا لأنه إذا وقع على شيء فصله عن أصله، والمهند السيف الجيد، المصنوع في الهند، والفصيل نستخدمه في معنى القوة التي تفرق بين الحق والباطل، وكذلك أسماء الأسد والجمل، و كثير من الأشياء التي لها عشرات الأسماء، ونظرا لعدم استعمالها أصبحنا لا نميز الفروق الدقيقة بينها، فضاعت منا الدقة التعبيرية، واحتفظت هذه المفردات بنوم هادئ في معاجمنا العربية[2].

و هناك ميزات للغتنا الفصحى لا نستخدمها، ومنها الأوزان التي تدل على معنى واحد، ومعرفة هذه الأوزان تقربنا من دقة التعبير، وسهولة الاستخدام مثل وزن "فعال)، وهو يدل على الأمراض والأوجاع مثل (صداع، زكام، سعال، رعاف، نكاف، دوار، زقار) و وزن (مفعال) الدال على الآلة (مصباح، مفتاح مسمار، محراث، مزراب، مجداف، منفاخ، مبراة، محاة، مقلاة) و وزن (مفعل) الدال على الآلات والأدوات (مشرط، مصعد، مقدح، مبرد، مثقب، معول، مكبس،

1- عبد الصابور شاهين، دراسات لغوية، مكتبة الشباب، القاهرة، ط 1، 1995، ص 105.

2- عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللغوي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1، 2000، ص 93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقبض، مجهر، منجل، منبر، مئزر...)، و وزن (فعالة) الدال على المهنة مثل (سباكة، صناعة، تجارة، صحافة، دباغة، خياطة، خراطة، حلاقة سقاية، طباعة)[1].

و مع هذه المميزات تتمتع لغتنا بقدراتها على تعريب، واستيعاب منجزات الحضارة الإنسانية، إنها اللغة التي وسعت مفردات القرآن الكريم، و أظهرت إعجازه البياني، وإعجاز النظم، ثم غدت وعاء رحيبا لحضارة ثرية، وإنها لقادرة على مواكبة العصر بتقنياته إذا ما اقتربنا منها، وأفدنا من دقة دلالاتها وخلصناها من فروعها الضعيفة، و تقسيماتها العقيمة، و إذا تمددت هذه القناعة بأهمية الفصحى داخلنا –نحن الإعلاميين– فإن توجسا من الفصحى سيحرك التردد فينا، لأن منطوق الفصحى يبعث من ذاكرتنا رصيدا من الألفاظ الصعبة، و القواعد و التقسيمات، و نتناسى أن الفصحى درجات، و أن أبسط درجات الفصحى تمكن الجميع من القول والفهم معا، ولا سيما أن أبسط درجات الفصحى تستمد مدادها من الأزمات، أزمات العصر التعبيرية، ولنا في صوغ نشرات الأخبار، و خطبة الجمعة النموذج و المثال.

إذن فالفصحى ليست هي (الزعبج والجحاجح، العرصات، الجلمود، إفرنقعوا ، تكأكتم...) ويمكننا أن نرتفع بمستوى الفصحى درجات تبعا للمادة الإعلامية، و تبعا لمستوى التلقي، وإذا ما وصلنا إلى واقعنا الإعلامي الآن فسنلاحظ جملة من الإساءات للفصحى، و التي تتبناها وسائل الإعلام، وإذا ما حددنا هذه الإساءات أمكننا تسديد ثغراتها. إن التصورات النظرية والحماسات لن تجد طريقها لواقع الممارسة العلمية بدون وجود رغبة جماعية مدعومة بقرار سياسي[2].

ألم نر كيف نجح المسلمون القدماء في مقاومة اللحن، لقد كان قرار عمر بن الخطاب سياسيا و رغبة المسلمين الجماعية مدفوعة بمستوى عال من مردود التبعية الدينية، و الأمثلة كثيرة "فتيودور هرتزل" ودعوته لإحياء اللغة العبرية في اسرائيل، وكذلك فعل "كمال أتاتورك" في تركيا، هذه الأمثلة توحد فيها القرار السياسي مع الرغبة الجماعية، فجاءت النتائج إيجابية حتى أن الدولة الفودية في غرب إفريقيا "نيجريا و النيجر" نجحت في جعل اللغة العربية الفصحى لغة رسمية للدولة، و استمر ذلك من 1805 إلى 1903[3].

كما يجب أن تتبنى وسائل الإعلام للغة العربية الفصحى، تتوحد فيه دعوة وسائل الإعلام جميعها في الدعوة إلى لغة عربية فصحى، و تتحول فيه لغة البرامج الجماهيرية إلى لغة فصحى كإذاعة مباريات كرة القدم، و برامج الأطفال و المرأة، و إتاحة مساحة إعلامية

[1]- عبد المنعم شميس، لغة الإذاعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 50.
[2]- فتحي محمد جمعة، دراسات في اللغة العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1991، ص 68.
[3]- كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969، ص 91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طويلة للقصائد المغناة، و تحجيم الأغاني ذات اللغة الهابطة و المعاني المبتذلة، فضلا عن التخطيط لندوات، و لقاءات و مسابقات، و مقالات مع مراقبة للغة الإعلانات التجارية التي تتدنى حتى أنها تسيء إلى اللهجة العامية نفسها، و تشيع من الألفاظ ما يبعث على الاستهانة والابتذال.

كذلك يجب الحرص على اكتساب المهارات اللغوية الأساسية بالممارسة العملية، كما يجب التخطيط لمستقبل الفصحى في وسائل الإعلام ينطلق من استشراف التوجهات اللغوية الشاذة و الغريبة والتي بدأت إرهاصاتها في بعض منتوجنا الأدبي عند الحداثيين، و علينا أن لا نفسح المجال لنشرها، وانتشارها إعلاميا لأن هذه التوجهات الشاذة ستتسلل من المنتوج الأدبي إلى واقع الممارسة العلمية للغة مما يسيئ إلى لغة القرآن، و يزيد من أمر الفصحى تعقيدا، وحتى لا نعطي الفرصة لانتقال منطقة المناورات الشاذة داخل حدود الفصحى، لأننا لن نسمح بتهميشها أو هدمها من الداخل[1].

إن الحرص على لغتنا الفصحى، و الحرص على سيطرتها على مقاليد النطق، والتحرير في وسائل الإعلام أمر حيوي لأنها ليست مجرد لغة و حسب، و لكنها بالنسبة لنا هي لغة قرآننا الكريم و أحد مظاهر إعجازه، و هي قناة الاتصال بجذورنا و موروثنا، و هي ذريعة لأمل الوحدة، و هي أحد العناصر الأساسية المكونة للهوية، و التي نحن في حاجة ماسة إليها للتدثر بها وسط حشد عاصف من قنوات فضائية متلاطمة متزاحمة، و الكل يحشد الطاقات للجذب، و السيطرة الفكرية، و من ثم التبعية الحضارية، لأن نداءات النظام العالمي الجديد لم تذب الفروقات الحضارية والقومية بين البشر حتى الآن[2].

4- اللغة العربية الفصحى والعولمة

لقد صمدت اللغة العربية الفصحى حاملة خلال الألفية الأولى الفكر والعلم والأدب، فاحتلت مكانة دولية مرموقة، وصمدت خلال الألفية الثانية في وجه الاستعمار الأجنبي الذي دأب على سلبها صلاحياتها و سلطاتها و حضورها كأداة للتداول الرسمي و الاجتماعي فهل تصمد في وجه المتغيرات التي تحملها بداية الألفية الثالثة و رياح العولمة؟

إن رياح العولمة لم تترك شأنا من شؤون الأمة إلا حاولت تفكيكه و العبث بمقوماته، وها هي اللغة العربية تعاني من دعاة العامية مجددا بعد أن تعالت أصوات داعية إلى التمسك باللغة العربية الفصحى و الدفاع عنها، و تعزيزها، وادعى أصحاب العولمة أن الفصحى لغة صعبة يجب التخلي عنها، و حصرها فقط في الواجبات الدينية، فهي تعوق التمدن و الرقي،

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى اللغة دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ص 68.

[2]- محمد مهني، اللغة الإعلامية، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1989، ص 122.

www.manaraa.com

واعتماد العامية لأنها سهلة و منتشرة في الوطن العربي، و قد تخطى الأمر اعتماد اللهجات صيغة كلامية تختلف باختلاف الشعوب و التوجهات، والمستويات الثقافية إلى اعتبارها لغة بوصفها الجانب الحي منها فلا ضير من نقل العامية إذن من لغة الحياة اليومية إلى لغة التأليف و الكتابة و المعاملات و الإعلام[1].

إن المبرر الذي تسوقه العولمة يعزى إلى الفروق اللغوية بين العامية والفصحى التي هي فروق أساسية جوهرية تبرر اعتماد العامية لغة قائمة بذاتها سواء كان هذا النظام الصوتي أو التركيبي أو النحوي أو المفردات وسبب الخطأ في الزعم أن العامية والفصحى لغة واحدة راجع إلى سهولة الانتقال من العامية إلى الفصحى عند عامة المتأدبين الذين قضوا الشطر الأكبر من حياتهم في إتقان العربية و قواعدها و شواذها.

لقد بدأت بوادر الدعوة إلى العامية بداية مع المستشرق الألماني "ولهلم سبيتا" واعقبه اتباع أجانب كثيرون، و قد اتهم في كتابه (قواعد العربية العامة في مصر) اللغة العربية بالصعوبة فهجرها العرب، و راحوا يستعملون العامية في حياتهم اليومية، ولو كانت مرنة وسهلة كما هو حال اللغات الأجنبية لاعتمدها العرب في استعمالهم، و تفكيرهم لذا فاعتماد العامية – برأيه – هو الحل الوحيد لتخليص العربية من جمودها و تقوقعها، و الواقع أن دعوة "سبيتا" لم تحظ بتأثير كبير في الأوساط العربية لأنها جاءت باللغة الألمانية، و ضم كتابه نصوصا عربية مكتوبة بحروف لاتينية.

و جدد الدعوة "وليم ويلكوكس" معتبرا أن المدنية الحديثة تفرض لغة مرنة تستجيب لحاجات البحث العلمي، و الكشوفات و الاختراعات، ولا تتوافر هذه الأمور في الفصحى ما ضاعف الأمية في الوطن العربي على حد قوله، و يبدو أن دعوة "سبيتا" و غيره من الأجانب طبعت الآراء العربية التي بدت متأثرة، و مشغولة بقضية الفصحى، والعاميات في الصحف، وبدت هذه التأثيرات في الدراسات والبحوث اللغوية، و من أبرزها دعوة أحمد لطفي السيد في مصر إلى (تمصير اللغة العربية) التي انقسم الناس حولها بين مؤيد ومعارض، ومختصرها أن بعث اللغة العربية يقوم على إحياء لغة الرأي العام، واحترام لغة القرآن باستعمال العامية في الكتابة.

إن هذا تناقض، و مفارقة تصب في التأسيس لبدايات الفكر التوفيقي بين العامية والفصحى، وفيه عمليا انتقال للصراع بين أنصار الفصحى و دعاة العامية من الأجانب العرب.

---

[1]- محمد يوسف، أسس علم اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، ط 1، ص 13.

www.manaraa.com

كما نقرأ "لاسكندر المعلوف" إقراره بصحة استعمال العامية بعدما اشتغل فيها كثيرا داعيا إلى (الإيمان بها و وجوب تدعيمها وإقرارها) [1].

إن اللغة العربية تعاني من ازدواجية لغوية حادة بين الفصحى و العامية. فالفصحى هي لغة الإعلام والتعليم و الثقافة والدين و الأدب. و الفنون و التأليف و الترجمة. وهي أيضا لغة الكتابة في شتى أنواع التواصل. و العامية هي لغة الحياة اليومية و الممارسات الاجتماعية. و لها أيضا إبداعها في مجالات الآداب و الفنون الشعبية. و يرجع البعض ظاهرة الازدواجية إلى أسباب تاريخية. و أسباب سياسية. و أسباب من اللغة ذاتها وأسباب تعود إلى الجماعة الناطقة بها. ومن الأسباب التاريخية هناك من يرى أن جذور الظاهرة تمتد تاريخيا حتى عصور الجاهلية. وتعدد لغات القبائل. ثم اختلاف اللهجات باختلاف الأمصار مع الفتوحات الإسلامية. و يأتي الحكم المملوكي والتركي ليهمل العربية الفصحى. ومن بعده الاستعمار البريطاني والفرنسي. و ما صاحبه من بعض توجهات استشراقية نالت من اللغة العربية الفصحى. ودعت إلى إحلال العامية بدلا منها والمناداة بكتابتها بالحروف اللاتينية.

أما الأسباب السياسية فهي مرتبطة بوقتنا الراهن حيث تتعرض اللغة العربية عموما. والفصحى بوجه خاص إلى هجمة شرسة ضمن حملة العداء المسعورة ضد الأمة العربية. والعالم الإسلامي بهدف شق الصف العربي. و إحداث فجوة تفصل بين العرب. و الأمة الإسلامية. و ترتكز استراتيجية حملة العداء هذه على شرذمة اللغة العربية إقليميا. بالدعوة إلى استخدام اللهجات المحلية. و أصبحنا نسمع عن عربية مغربية. و عربية مصرية. و عربية شامية. و عربية خليجية. و على الصعيد السياسي أيضا أدى ضعف النزعات القطرية لتجد وراءها الدعوة إلى استخدام اللهجات المحلية[2].

5- الدلالات اللغوية في وسائل الإعلام

انعكست تطورات الحياة على الصياغات اللغوية بشكل فعال. فتمكن الإنسان من التعبير الدقيق أكثر من توظيفات كلامه لتوضيح ما يجول في خاطره من أفكار. و أتى المجال الإعلامي ليكون بمثابة فتح جديد لتقريب أو تبعيد العلاقات الاجتماعية بين الناس لكن فكرة المخاطبة لكسب رأي الآخر بقيت هي الأساس في منطلقات. و برامج الإعلام المحلي العربي.

بالنظر للإمكانات الإعلامية الهائلة العاملة في المجال الدولي تخطى استخدام اللغة الطبيعية المتقدمة مجال البلاغة. و الأكثر حملا لفلسفة الكلام. ففي مجال الأخبار يلاحظ أن اللغة الدبلوماسية التي غالبا ما تكون متراوحة من حيث الدلالة الدائرة حول الحدث. ويلاحظ

1- محي الدين عبد الحليم. حسن محمد الفقي. العربية في الإعلام. مطابع دار الشعب. القاهرة. ط1. 1988. ص 77.

2- أحمد أبو زيد. الإعلام واللغة مجلة عالم الفكر. المجلد الثاني. العدد الأول. الكويت. 1971. ص 54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثلا في محور التعليقات أو نقل الصورة السياسية أن لكل جهاز إعلامي منصة أو منبرا لما يراد قوله أو إيصاله للرأي المحلي أو الإقليمي أو العالمي، وفقا لكلمات وجمل وعبارات تكاد أن تكون متفردة لخصوصية المواد الإعلامية المختلفة لكن تسويق الكلام لم يبقى على أحوال ثابتة بفضل التغيرات السريعة الجارية بمعدلات يومية تقريبا[1].

إن الإعلام الذي يحاول أن يكشف سبقا إعلاميا لكشف سر سياسي خطير أو فيه شيء من الخطورة على المستوى الدولي مثلا يحتاج إلى توفر شرط صياغته بصورة بحيث تكون مؤثرة على الآذان السامعة له، ولعل تداخلات العمل السياسي الدولي التي جعلت من دول تدعي السيادة أن تعمل لصالح دول أخرى، قد كشف ما كان من اصطفافات دولية غير معلنة أمام الرأي العام، فدولة مثل كندا التي تدعي أنها دولة مستقلة مع أن الذي يحكمها شخص معين من قبل العاصمة البريطانية "لندن" بصفة حاكم عام كشفت تقارير إخبارية عنها مؤخرا بأنها قد رضيت لنفسها أن تعمل طابورا إعلاميا خاصا لصالح سياسات الولايات المتحدة الأميركية.

لقد كان ذلك خلال فترة الحرب الباردة المتأججة آنذاك بين العالم الشرقي الاشتراكي، والعالم الغربي الرأسمالي إذ تم ذلك في سنتي الستينيات بعد قطع العلاقات بين واشنطن وهافانا إذ كانت بعض الصحف، و أجهزة الإعلام الكندية تصوغ تعليماتها بحسب إملاءات أجهزة المخابرات الأمريكية لها بكلمات مخاطبة مغايرة للواقع، وكانت صحف عربية محددة تنقل ترجمات من تلك الصياغات بدلا من أن تلتزم الحياد في ذلك[2].

إن استخلاص العبر من تجربة أساليب المخاطبة الإعلامية تسمى في المرحلة الراهنة (الدس السياسي) ففي عالم الإعلام الواسع لم يعد غريبا أن يمتد تأثير نتاجاته بحيث يكاد أن يغطي اليوم كافة المجتمعات البشرية بغض النظر عن تقدمها أو تخلفها، و في كثير من الأحيان يلاحظ أن صوغ الخطاب الإعلامي العربي في بعض منحنياته بقدر ما هو منافق يغطي على الفضائح السياسية المحلية، ويتملق للقيادات الأقوى لكنه لا يخلو من فوائد نسبية إذ أن لغة تخاطبه لا تفلح دائما بإدانة من يريد إدانته بقدر ما يدين الآخرين أن تكون تصنيفات لغته بتلك الدرجة اللا مقبولة من أسلوب المخاطبة.

إن لغة المخاطبة في الإعلام الدولي تكاد اليوم أن تكون مدروسة لما لها من أسس وصياغات لا يفضل تجاوز اختياراتها بالمفردات التي لا يقبل قادة الإعلام إجراء تبديل عليها على تعميم أن ذلك جار في أصول الخطاب الإعلامي المعاصر، لذلك يلاحظ أن الإعلاميين، وبالذات

1- أمين ناصر الدين، دقائق العربية مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1968، ص 61.

2- وليام ريفرز وآخرون، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1975، ص 59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهم المراسلون يمتازون بقدرات لغوية محددة لا يمكن لغيرهم أن يصوغوا مثيلا لها، و هم ينقلون توضيحات للأحداث الساخنة في العالم. وهناك رأي من أن الدوران حول تغيير حدث ما لا يدين المدان فيه بأنه نوع من التهور اللغوي البعيد عن رسالة اللغة السامية التي أبدعها الباري عز وجل لتكون وسيلة دفاع عن الحقيقة لا الالتفاف عليها[1].

ورب سائل يسال عن أقرب صياغة لغوية للخطاب الإعلامي، فيأتي الجواب بأنها صياغة المحاضر الملقي للدرس الأكاديمي، فالآباء و الامهات مسؤولون مباشرة عن تعليم وتلقين أطفالهم للكلام الاعتيادي الراقي لينسجموا أكثر مع طروحات الخطاب الإعلامي و بإعمار مبكرة تستطيع التمييز بين لغة الفهم للمعلوماتية الجيدة و المفيدة عن لغة النقل من المعلومة البعيدة عن الحقيقة التي تقاطعها العقول الذكية، والضمائر الحية بمجرد سماعها.

و من غرابة الأخبار المستجدة بهذا الشأن حول اعتماد لغة معينة عند الناس، ما أفاد بأن حكومة أستراليا اتهمت المسلمين من حملة جنسيتها المتعاملين مع نتاجات وسائل الإعلام الناطقة باللغة العربية أن يفهموا بـ "أن حرية التعبير حق قوي" لكن يصحبها "التزام مماثل" جاء ذلك في خطاب موجه إلى أجهزة الإعلام الموجهة إلى العرقيات، ووزير العرقيات "جاري هاردجريف" في كانون الثاني من سنة 2003.

لقد طالب بعرض تقارير متوازنة في أوقات الأزمات، و قصد فيه التمهيد للأحداث التي يمر بها العراق احتمال شن الحرب عليه، و المقصود هنا بالتقارير المتوازنة هو الكلام المصاغ بحيث لا ينتهي السامع غلى شيء محدد[2].

خاتمة

تعتبر اللغة العربية العنصر الأساسي، و الفعال في إيصال الرسالة الإعلامية المؤثرة، فهي ذات سلطان قوي الأمر الذي يجعلها إحدى المحددات لماهية الإنسان. فهي تحظى بدور حيوي في وسائل الإعلام لا يقل أهمية عن الأدوار الأخرى في مجالات السياسة و الاقتصاد والثقافة والاجتماع، فترقية الخطاب الإعلامي رهن بتمكين هذه اللغة من آداء دورها كلغة جماهيرية تتعامل بالكلمة المنطوقة و المدونة و المكتوبة في ظل تطور تكنولوجيات الإعلام و الاتصال.

[1] - فاروق أبوزيد، فن الخبر الصحفي، دار الشروق، بيروت لبنان، ط2، 2004، ص 44.
[2] - ابراهيم الياجزي، لغة الجرائد مطبعة مصر القاهرة، ط3، 1970، ص 44.

www.manaraa.com